

تفسير أبي السعود

سورة الحج 6 7 وقرء يتوفى مبنيًا للفاعل أي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخوف وقرء بسكون الميم وإيراد الرد والتوفى على صيغة المبني للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعيين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم أي علم كثير شيئاً أي شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم مبالغة في انتفاص علمه وانتكاس حاله أي ليعود إلى ما كان عليه في أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث مالا يخفى وترى الأرض هامة حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامة حال من الأرض أي ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماداً فإذا أنزلها عليها الماء أي المطر اهتزت وتحركت بالنبات وربت انتفتحت وازدادت وقرء ربأت أي ارتفعت وأنبئت من كل زوج أي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بأن الله هو الحق كلام مستأنف جيء به إثر تحقيق حقية البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنساني والنباتي لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وإن ما ينكرون وجوده بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق ومبادئ صدورها عنه تعالى وفيه من الإيذان بقوة الدليل وأصله المدلول في التحقيق وإظهار بطلان إنكاره مالا يخفى فإن إنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقيق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محاله لكونه لذاته لا الثابت مطلقاً وذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أحوال متباينة وإحياء الأراض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الكمال وهومبتدأ خبره الجار والمجرور أي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء وأنه يحيي الموتى أي شأنه وعادته إحيائها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيى المنطقة والأرض الميتة مراراً بعد مراروما تفيده صيغة المضارع من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلها لا باعتبار نفسها وأنه على كل شيء قدير أي مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات القائمة للحرص التي من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذي نسبته إلى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها فمنشأة الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاتمة المذكورة من فروع القدرة العامة اللامة

ومسبباتها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في محور المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتناء به وأن الساعة آتية أي فيما سيأتي وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقيق إتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الإنصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى لا ريب فيه إما خبر